قصص القرآن

أصحاب الجنة

قلم : أحمد بهجت
ريشة : مصطفى حسين



دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعة الثانية
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعة الثالثة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

© دار الشروق

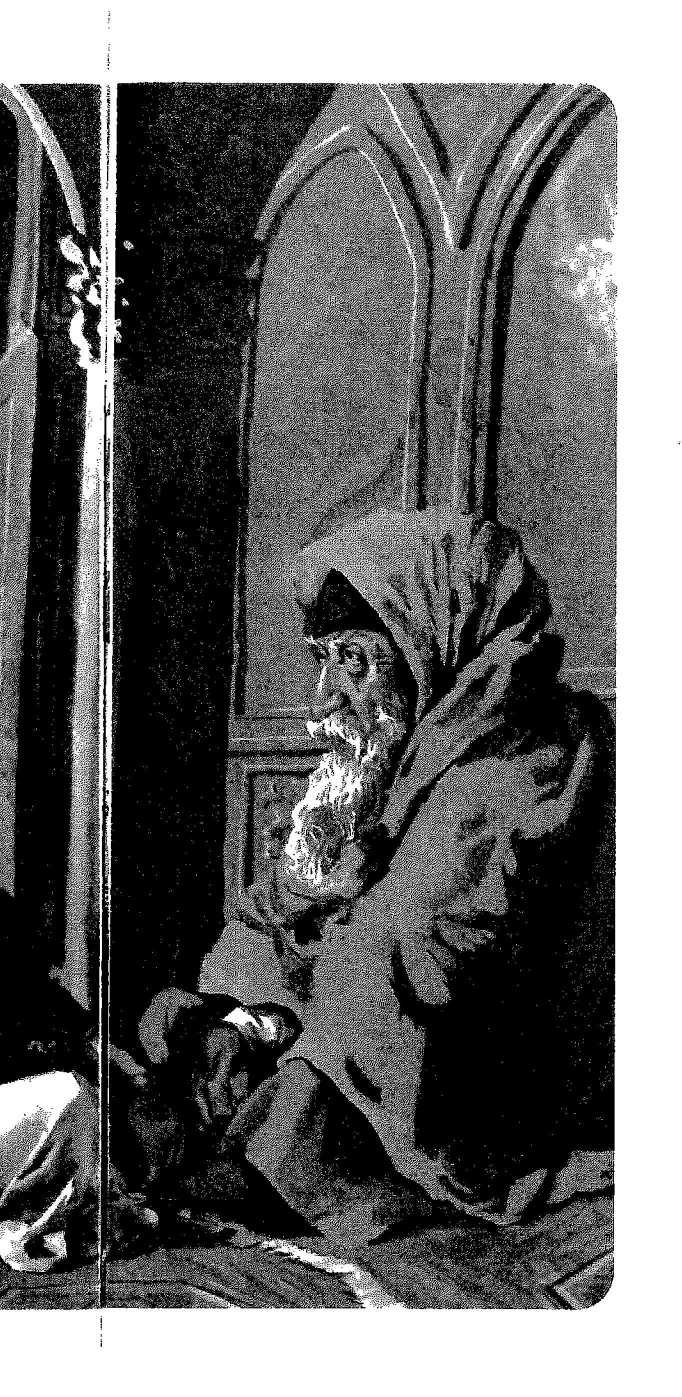
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

قصص القرآن

أصحاب الجنة

قلم: أحمد بهجت   ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق



قالَ الشيـخُ الحكيمُ لِتلميـذِه الشابِّ :

ــ تُشبِه أيامُ الـدُّنيا ولَيـاليها أوراقـاً في آمتحانٍ تَتعاقبُ أَسئِلَتُه .

ومـا أَكثرَ المـواقف التي تَمُرُّ بنـا في الحياةِ فلا نعرفُ أنها كانتِ آمتِحانـاً إلا بعد أَن تَمضي بزمنٍ . .

سكتَ التلميـذُ وهـزَّ رأْسَـه وهـو يعجبُ . . كيف تكـونُ أَحداثُ الـدُّنيا أَسئلةً في آمتحانٍ ، وكأَنمـا قرأَ الشيخُ أَفكارَ تِلميذه فقال :

ــ تَختـلفُ أَسئلةُ الامـتحـانِ في الـدُّنـيـا عن أَسئِلة الامتحـانِ في المَـدارسِ . . إن الغِنَى والفَقرَ أَسئِلةٌ يَمتحنُ الله بـهـا عِبـادَه ، والـصِّحـةَ والمَرضَ أَسئِلةٌ يَمتحنُ الله بها عِبـادَه ، وكـذلكَ الحُـزنَ والسُّـرورَ ، والـرِّضـا والغضبَ ، والإيمانَ والكفرَ . .

كلُّ ما يقعُ للإنسانِ . . كلُّ ما يمرُّ به الإنسانُ . . كلُّ أَحـداثِ حياتِـه ليست سِـوى أَسئلةٌ تكشفُ عن حقيقةِ جـوهرِه وأَصلِ مَعدنِه .

سـأَلَ التلميـذُ : كيف يكـونُ الغِنَى آمتِحاناً ويكونُ الفقرُ آمتِحاناً ؟

قالَ الشيخُ الحكيمُ : إن ثروةَ الغَنِيِّ هي أَسئلةُ آمتحـانِـه . . إذا شكـرَ الله علَيها وأَعطى منها وتصدَّق ، فقد آجتازَ آمتحـانَه ونجـحَ ، وإذا حـرِص عليهـا وبَخلَ بها فقد رسبَ . .

وفقرُ الفقيرِ هو آمتحانُـه . . إذا صبرَ على الفقـرِ وسـأَل الله جـازَ ، وإن لم يصبرْ هوَى . . هل فهمتَ ما أَقول ؟

قالَ التلميذُ : فهمتُ . .

قالَ الشيخُ الحكيمُ : هل أَدُلّكَ على سبيلٍ لاجتيازِ آمتحانِ الحياةِ ؟ إنه التَّسبيحُ . . إن تَسبيحَ الله تباركَ وتعالَى وآستغفارَه طريقٌ إلى الرِّزقِ كما أنه طريقٌ لاجتيازِ البَلاءِ . .

قالَ التلميذُ لأستاذِه : فهِمنا أنه طريقٌ لاجتيازِ البلاءِ . . كيف يكونُ طريقاً إلى الرزقِ ؟

قالَ الشيخُ الحكيمُ : أَلم تَقرأْ قولَه تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَى آمَنُوا وَٱتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ ؟

آستمِعْ إلى قِصَّةِ أَصحابِ الجنةِ التي قصَّها علينا الحقُّ عزَّ وجلَّ في كتابِه . .

في قديمِ الزمانِ . . وسالفِ العصرِ والأوانِ . . عاشَ مَجموعةٌ من الإخوةِ الأغنياءِ . . كانوا يَملِكونَ حديقةً رائعةً تَمتلئُ بالزُّروعِ والثِّمارِ والفَواكهِ والأشجارِ والوُرودِ . .

وكانَ هؤلاءِ الإخوةُ مَشْهورونَ بأنهم أَصحابُ الجنةِ . . سمَّى الناسُ حديقَتَهم بالجَنةِ من فرطِ جَمالِها وخَصبِها . . وآقتربَ وقتُ الحَصادِ فخرجَ أصحابُ الجنةِ يتأمَّلونَ أنواعَ الفاكِهةِ والثِّمارِ ، وجمالَ الوُرودِ والزُّهورِ . . وأنواعَ الطيرِ والحيوانِ .

كان واضِحاً أن الجنةَ قد أثمرتْ بسخاءٍ عظيمٍ هذه السنةِ . .

آنتهَى الإخوةُ من طَوافِهم في الجنةِ . وعادُوا إلى غُرفةِ طَعَامِهِم وجَلسوا يأْكُلونَ . . أَمروا ألّا يَدخُلَ عليهِم أَحدٌ . .

كان المَحصولُ وفيراً أَكثرَ من أيِّ وقتٍ مضى..وكانوا سُعداءَ وهم يأْكلونَ . .

قــال الأخ الأكبَـرُ : غَـداً نجمــعُ المَحصولَ .

قالَ الأخُ الأصغرُ:لقدصِرنا أَغنياءَ . .

ووضـعَ الأخُ الأكبرُ من يـده قِـطعـةَ البطِّ التي كان يأْكُلها وقال : لا نُريدُ أن نُعـطيَ الفُقراءَ شيئاً حتى لا ينقُص من مالِنا شيءٌ . .

قال الأخُ الأوسطُ : لكنَّنا آعتـدنا أن نَتصدَّقَ كلَّ عام ٍبشيءٍ من الثمرِ والقمح . .

قــالَ الأخُ الأصغــرُ : لن يحــدُثَ هــذا . . يكفي مـا تَصــدَّقنـا بــه في الأعوامِ السابقةِ . .

قالَ الأخُ الأكبُر : أَنا أَتفقُ معك . . لقد صِرنا أَغنياءَ ، ولا نُريدُ أن نُفرِّطَ في مالِنا أو نخسرَ منه شيئاً . .

قالَ الأخُ الأوسطُ: لكن هذا حرامٌ .

ضحِـكَ الأخُ الأكبرُ هـازئاً وآشتـركَ معه الأخُ الأصغرُ في الضَّحـكِ . . قالا لأخيهمـا : دَعنـا من أَفكـارِ الحـرامِ والحَـلالِ . . نحن الآنَ أَغنيـاءَ . . لا شيءَ يهمّنا . .

قــالَ الأخُ الأوسطُ : سمعتُ شَيخـاً صَـالِحـاً في المسجـدِ يقـول : إن مَن تَصدَّق ببعضِ أَموالِـه باركَ الله لـه فيما يبقَى . .

قــالَ الأخُ الأصغـرُ : مــاذا نفعــلُ بـالبرَكـةِ فيمـا يبقَى ؟ نحن نُـريدُ كـلَّ شيءٍ . .

قــال الأخُ الأكبــرُ : لقــد حصلتِ البركةُ وآنتَهى الأمرُ . .

أَلم تَروا الجنةَ وأَشجارَها تَنحني من كثرةِ الثِّمارِ ؟

آتـفقَ الإخــوة أنـهـم لـن يُـعــطوا المســاكينَ شيئاً هـذا العـامِ . . أَمـروا



بـإحضارِ رئيسِ الحـرسِ وقالـوا لـه : أَغلقْ أبوابَ الحَديقةِ جيداً من الآن . . ولا تَفتحوا غداً لأيِّ طارقٍ . .

قـالَ الحارسُ : ولكن غَـداً هو يـومُ الحصـادِ ، وقـد آعتـدتُم أَن تُعـطوا المَسـاكينَ الذين يَحضُـرونَ من القُرى المُجاورَة . .

قـالَ الأخُ الأكبرُ : لن نُعـطي أحـداً هذا العام . . أَغلقِ الأبوابَ ولا تَفتحْها لأيِّ مِسكينٍ .

هل فهمتَ ؟

هــزَّ الحـارسُ رأْسَــه بـالإيجـابِ وآنصرفَ عائِداً إلى مكانِه .

جـاءَ الليـلُ على الإخــوةِ الثـلاثـةِ أَصحاب الجنةِ .

نــامَ الأخُ الأكبـرُ والأصغـرُ وهمـا يَحلمُانِ بالـذَّهبِ والجَواهِـر والملابِس الجديدةِ والثراءِ .

كـان قَرارُهُمـا بِمنعِ التَّصـدُّقِ على الفُقـراءِ يُسعدُهُمـا تَمامـاً . . أمـا الأخُ الأوسطُ فقد وافقَهُما مُضطرّاً ، وحاولَ هـذا الأخُ أَن ينـامَ ولكنـه ظـلَّ قَلِقـاً لا يَحسُّ رغبـةً في النـومِ . . كـان يَحسُّ بـالألمِ لِمـوقفِ أَخـوَيْـهِ من الفُقـراءِ ، وكان يَحسُّ أنه سكتَ على ظُلمِ أَخويهِ فصارَ ظالِماً هو الآخر . .

أَخيراً أَدركَه النُّعاسُ فأَغمضَ عينَيهِ ونامَ . .

نــامَ أَصحــابُ الجنــةِ . . ونــامَ الحـارسُ ونـامتِ الـطيـورُ والأشجـارُ وهجعَ كلُّ شيءٍ . .

لكنَّ الله سبحانَه لا تُـدرِكُه سنـةٌ ولا نومٌ . . أَمر الله تعالَى واحِداً من جُنـودِه أن يُدمِّرَ الجنةَ . .

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

لا أَحدَ يَدري مَن هو هذا الطائفُ . . لا أَحدَ رآه أَو سمِعَه أَو تنبَّه إليه أَو أَحسَّ به أَو شعرَ بِوُجودِه . . كان هذا الطَّائفُ جُندياً من جنودِ الله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ . .

كان هذا الطائفُ الخفيُّ الغامِضُ يمرُّ بالأشجارِ المُثمِرةِ فَتذوي وتموتُ ، كان يُشيرُ إلى الثمارِ فَتسقُطُ دون صوتٍ وتَتعطَّنُ قبل أن تمسَّ الأرضَ . .

كان لا يمسُّ بيدهِ شجرةً أو يُشيرُ لجزءٍ من الجنةِ حتى يموتَ الزرعُ وتفسدَ الثمارُ ويَسقط كلُّ شيءٍ على الأرضِ دون صوتٍ . ظل الطائفُ يطوفُ بالجنةِ فلم يتركْ فيها شجرةً قائمةً أو نباتاً حياً أو طيراً أو ثمرةً أو حيواناً أو زهرةً .

مات كلُّ شيءٍ وذبلَ كلُّ شيءٍ



وهلكَ كل شيءٍ وأصبحتِ الجنةُ كالصَّريمِ . . صارتْ خَراباً . .

وآختفَى الطائفُ فجأةً كما ظهرَ فجأةً . .

ومرتْ ساعاتٌ وجاءَ الصباحُ فآستيقظَ الإخوةُ .

كانوا سُعداءَ بآستِثناءِ الأخِ الأوسطِ . . كانت عيناهُ مُنتفِختينِ من قلَّةِ النومِ . . وكان وجهُه شاحِباً مُمتقِعاً . .

أَفطر الإخوةُ وتَهيَّؤوا للخُروجِ لجمعِ المحصولِ . .

آنطلقُوا وهم يَتحدَّثونَ بصوتٍ خافتٍ : لن يدخُلَ علينا اليومَ مِسكينٌ . . سيبقَى لنا كلُّ شيءٍ . . ولن نتصدَّقَ بشيءٍ . . كانت فِكرةُ الثراءِ تَملؤُهُم بالسعادةِ . . كان آمتحانُهم كأغنياءَ قد آنتهى . . وبقي تَصحيحُ أوراقِ الإجابةِ .

خَرجوا إلى الجنةِ لجمعِ المَحصولِ فَفُوجِئوا بما حدثَ . . لم يكن هناكَ مَحصولٌ ولا ثمرٌ ولا فواكهَ ولا زهورٌ ولا قمحٌ ولا طيورٌ . . لم يكن هناكَ غير هذه الأخشابِ الميتةِ والعَطَنِ المُتعفِّنِ والخَرابِ الشاملِ . .

صرخوا بالدَّهشةِ والويلِ . . ضربوا كفّاً على كفٍّ . .

ماذا حدثَ . . ؟

وكيف حدثَ ما حدثَ ؟

كانت الجنةُ بالأمسِ جنةً فكيف تَهلكُ في ليلةٍ واحدةٍ ؟

صرخَ الأخُ الأكبرُ وهو يَفركُ عينيهِ ولا يُصدِّقُ ما يراهُ : ليست هذه جنّتُنا . . لقد ضَللنا الطريقَ إليها . .

قالَ الأخُ الأصغرُ : هذه جنَّتُنا وقد هَلكتْ . . آنتهَى الأمرُ .

قالَ الأخُ الأكبرُ وهو يعولُ ويَصرخُ : نحن مَحرومونَ إذن . . ولم نَضلَّ الطَّريقَ .

قالَ الأخُ الأوسطُ : **﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾** . .

﴿ قَالُوا : سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ . .

آعترفَ الإخوةُ بِخَطئِهم بعد أن أدركوا ما حدثَ . .

وبدأ كلُّ واحدٍ يُلقي اللّومَ على الآخر.

قال الأخُ الأكبرُ للأخِ الأصغرِ : لقد ضِعنا بِسبَبِكَ . .

وقالَ الأصغرُ للأكبرِ : كان الاقتراحُ آقتـراحَـك أنت . . لقـد رَفَضتَ أن تُعطيَ المساكينَ . .

ومضى الجِدالُ بين الإخوةِ فراحَ كلُّ واحـدٍ يُلقي اللومَ على الثاني ، حتى تحوَّلَ الجدلُ إلى خصامٍ . . وتحدَّثَ الأخُ الأوسطُ الـذي نَصحَهم قبل ذلك بالتَّسبيحِ .

قـالَ لهم : لقد قـادَنـا الجِـدالُ إلى الخِصـامِ . . وهـذا مـا كنتُ أَخشاهُ وأَحسبُ حِسابَه . . لقد آشترَكنا جَميعاً في جريمةٍ واحدةٍ ، إن أَحدَنـا قد فكَّـر في الجريمةِ ، ولكننا جَميعاً قد آشترْكنا فيهـا ، سـواءٌ بـالمَـواقِفِ أو بعـدمِ الاعتراضِ الجَدِّي . . دعونا الآن مما حـدثَ ، ولِنَتـأمَّـل الـدرسَ فيمـا حدثَ . .

لـمـاذا عـاقَبـنـا الله تـعـالـى بالحِرمانِ . . ؟

قـالَ الأخُ الأكبرُ : كـان طُغيانُنـا هو السَّبب .



قالَ الأخُ الأصغرُ : نعم . . لِنعترفَ بذلك .

قـالَ الأخُ الأوسطُ : لقـد قـرَّرنـا حِرمانَ المساكينِ من الصدقةِ . . كانت هذه جَريمتَنا الأُولى ، ولكنها نَبعتْ من جريمةٍ ثانيةٍ أَشـد . . لقد كُنـا نَعتقدُ أن العطاءَ من المالِ يُنقصُ المـالَ . . لقد كُنّـا بُخلاءَ . . وآكتشفنـا أن البُخلَ هـو الذي يُضيِّعُ المالَ لا الصدقةَ . .

قالَ الأخوانِ الأكبرُ والأصغرُ : لقـد ظَلمنـا أنفُسَنـا بـالبُخـلِ . . وظَلمنـا المَساكينَ بالحِرمانِ . .

قـال الأخُ الأوسطُ : وبسببِ هـذا الظُّلمِ حَرَمنا الله تعالَى من كلِّ شيءٍ .

قالَ الأخُ الأكبرُ: ما هو الحلُّ الآن ؟

قـالَ الأخُ الأوسطُ : التَّوبـةُ . . هي الحلُّ الآن . .

تساءَلَ الأخُ الأصغرُ : كيف ؟

قـال الأخُ الأوسطُ : نَرجعُ إلى الله بالاعتذارِ . . والنَّـدمِ . . نَستغفِرُه من ذَنبِ الاعتقـادِ بـأن العَـطاءَ من المـالِ يُنقصُ المـالَ . . ونتـوبُ إليـه من خَطيئتِنا وبُخلِنا . .

سأَل الأخُ الأكبرُ : هـل تظنُّ أن الله يَقبلُ تَوبتَنا ؟

قـالَ الأخُ الأوسطُ : إن الله تعـالَى وعدَ بِقبولِ التوبةِ إذا كانت صادقةً . .

قالَ الأخُ الأصغرُ : إن جَريمتَنا أَكبرُ من أَن يَغفِرَها الله لنا .

قال الأخُ الأوسطُ : هذا ذنبٌ جديدٌ تَرتكِبُهُ . . أن تعتقـدَ أَن جَريمَتـكَ أَكبرُ من عفوِ الله أَو غُفرانِـه . . إن رحمةَ الله وَسعتْ كلَّ شيءٍ . .

وآستمرَّ حوارُ الإخوةِ حتى عَرفوا أن مـا وقَـع لهم كـان جُـزءاً من عـذابِ الدُّنيا ، وأدركوا أن عذابَ الآخـرةِ أَكبرُ وأَشـدُّ ، ومن ثم فقـد تـابـوا إلى الله وآستغفَروه وسبَّحوهُ . .



وتـابَ الله عليهم فعادتْ جَنَّتُهم إلى الحياةِ وعادتْ ثِمارُها تَزدهِرُ . .

وكـان يومُ حصـادِ المَحصولِ عيـداً لكُلِّ الفُقراءِ والمساكينِ في المنطقـةِ ، فقـد كان أَصحـابُ الجنـةِ يُكـرِمـونَهم ويُعـطونَهم نصفَ محصـولِ الجنـةِ ، وكـان الله يبـاركُ لهم فيمـا آتـاهُم ويَزيدُهـم من فضلِه .



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝
وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ
۝ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ۝ أَنِ
ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ۝ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ
يَتَخَـٰفَتُونَ ۝ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝ وَغَدَوْا۟
عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝ بَلْ
نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ
۝ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ۝ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ۝ عَسَىٰ رَبُّنَآ
أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ

صدق الله العظيم